تنفيذية الأممية الشيوعية

أطروحات حول المؤتمر الشيوعي العالمي السادس

ترجمة

محمد علي العربي

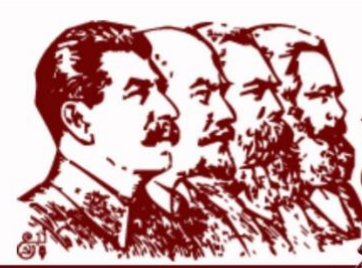

يا عمال العالم، اتحدوا

طريق البلشفيّة

موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي

تنفيذية الأممية الشيوعية

أطروحات حول المؤتمر الشيوعي العالمي السادس

—

ترجمة

محمد علي العربي

القيروان، أيلول 2022

دار النشر البلشفي العربي

المحتويات

1. الأهمية التاريخية للمؤتمر الشيوعي العالمي السادس.....4

2. برنامج الأممية الشيوعية.....6

3. النضال ضد خطر الحرب وقضايا تكتيك الأممية الشيوعية.....12

4. قضية المستعمرات.....22

5. الوضع داخل الاتحاد السوفييتي وداخل حزبه الشيوعي.....27

1. الأهمية التاريخية للمؤتمر الشيوعي العالمي السادس

فقرة 1. لقد انعقد المؤتمر الشيوعي العالمي السادس في توقيت كان بمثابة فاصل بين فترتين: فترة سائرة نحو الزوال قوامها نوع من التعايش السلمي بين القوى الإمبريالية، ومعارك جزئية بين رأس المال والعمل في بلدان الإمبريالية، وأولى موجات الثورة في عالم المستعمرات. وفترة جديدة قوامها اشتداد عظيم في خطورة تناقضات الإمبريالية وخطر حرب محدقة بين عملاقي الإمبريالية: إنجلترا وأمريكا، واشتداد خطورة الصراع بين الرأسمالية واتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية إلى أقصى حد، والتحضير جهرا للحرب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، واقتراب تفجر صراعات طبقية فاصلة في عدة بلدان هامة (ألمانيا وغيرها)، وتنامي اندماج الإصلاحية بالدولة البرجوازية وتعاونها مع الفاشية، ونضال فاصل بين الشيوعية والإصلاحية في سبيل قيادة أغلبية البروليتاريا، واشتداد خطورة التناقضات بين المستعمرات والإمبريالية، واقتراب موجة جديدة من الثورات في عالم المستعمرات أكثر قوة.

فقرة 2. تحضير الأممية الشيوعية للأحداث التاريخية الفاصلة ورفع راية الشيوعية كراية لتجميع مئات الملايين من المستغلين من جميع البلدان ومن جميع القارات، تلك كانت مهمة المؤتمر الشيوعي العالمي السادس. ولقد أنجزها إجمالا.

أ. لقد صاغ المؤتمر برنامج الأممية الشيوعية، برنامج الشيوعية العالمية، برنامج النضال في سبيل دكتاتورية البروليتاريا العالمية.

ب. لقد رصد المؤتمر اقتراب الحروب والمعارك الثورية، واستنادا إلى هذا الأفق، حدد المهمات التكتيكية للأممية الشيوعية. لقد طبق نظرية لينين عن الحرب في الظروف التاريخية الملموسة.

ت. لقد قدم المؤتمر، خلال نقاشاته، برنامج عمل ضافيا للحركة الوطنية الثورية في المستعمرات، آخذا بعين الاعتبار دروس الثورة الصينية ورسم الخط التكتيكي الأساسي الواجب اتباعه عند حلول الموجة المقبلة في الثورة الهندية، وقدم توجيهات جوهرية لفروع الأممية الشيوعية في المستعمرات وأشباه المستعمرات في آسيا وإفريقيا وأمريكا.

فقرة 3. لقد كان المؤتمر الشيوعي العالمي السادس مؤتمرا عالميا حقا. فقد أظهر، على نحو أكثر حيوية مما سبق من مؤتمرات، الطابع الأممي حقا للحركة الشيوعية وللمنظمات الشيوعية. فلم يسبق لبلدان آسيا وأمريكا وإفريقيا أن جرى تمثيلها تمثيلا كاملا في أي مؤتمر مثلما كان لها في هذا المؤتمر. فالعديد من أحزاب أمريكا الجنوبية وآسيا جرى تمثيلها لأول مرة في المؤتمر الشيوعي العالمي السادس. ولقد بين المؤتمر، بإقراره برنامجا مشتركا لجميع عمال العالم، كيف أن هدف الشيوعية، أكان ذلك في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية أم في ألمانيا المتقدمة أم في سوريا وأندونيسيا المتأخرتين، هو نفسه دوما. ولقد برز جليا جدا هذا الطابع الأممي في الشيوعية وهذا الانسجام العالمي للحركة الشيوعية بفعل تزامن انعقاد المؤتمر الشيوعي العالمي السادس مع انعقاد مؤتمر الأممية الثانية في بروكسل. إن الأحزاب الإصلاحية، وهي التي لا تتجمع إلا وفق مصلحة أسيادها الإمبرياليين، إنما هي تحارب بعضها البعض حتى تحقق سندا معنويا لبرجوازيتها. فلا يقوم إجماع في مؤتمر بروكسل إلا عندما يتعلق الأمر ب:

1. مساندة عصبة الأمم المتحدة الإمبريالية والإعلان للجماهير أن عصبة الأمم المتحدة ضمان للسلم.
2. اعلان "الحرب المقدسة" على أول دولة بروليتارية وعلى الشيوعية.

3. التدخل ضد ممثلي الشعوب المضطهدة في المستعمرات وأشباه المستعمرات، والدفاع عن احتكار إمبرياليي أمريكا وأوروبا نهب مئات الملايين من البشر.

لقد بين الإصلاحيون كيف أنهم أمميون على طريقة أسيادهم الإمبرياليين.

وإذ يقيم المؤتمر الشيوعي العالمي السادس الفارق بين ما للاصلاحيين من أممية إمبريالية وما للشيوعية من أممية بروليتارية حقة فإنه يقدم خدمة عظيمة للأحزاب الشيوعية في نضالها ضد الإصلاحية.

2. برنامج الأممية الشيوعية

فقرة 4. لقد أقر المؤتمر برنامج الأممية الشيوعية. فمع بداية فترة المعارك الطبقية الفاصلة، ترفع الأممية الشيوعية راية معركة الشيوعية. فبرنامج الأممية الشيوعية إنما هو أثر تاريخي في الحركة البروليتارية العالمية. فبعد البيان الشيوعي، فإن برنامج الأممية الشيوعية إنما هو، من حيث الأساس، أول برنامج شيوعي عالمي. وإن برنامج الأممية الشيوعية ليواصل تقاليد البيان الشيوعي المجيدة وقد برهن علميا كيف أن إفلاس الرأسمالية وشيكا، وعلم البروليتاريا كيف أن الإطاحة بالرأسمالية بالثورة وتركيز دكتاتورية البروليتاريا هما شرطان جوهريان للاشتراكية.

لكن برنامج الأممية الشيوعية يمثل، في ذات الوقت، تقدما عظيما بالنسبة للبيان الشيوعي. فلم يكن البيان الشيوعي سوى برنامج مجموعة من العمال المتقدمين والمنعزلين في مرحلة الثورة البرجوازية. فقد كان البيان الشيوعي بمثابة نبوءة علمية عبقرية عن اضمحلال الرأسمالية. أما البرنامج الشيوعي فهو برنامج الحزب الشيوعي

العالمي الذي يناضل في مرحلة الثورة الاشتراكية. إنه برنامج حزب قد شرع أحد فروعه في بناء الاشتراكية.
برنامج الأممية الشيوعية أداة نضال. وبرنامج الأممية الشيوعية تعبير رائع عن أطروحة ماركس التي تقول ما إن تسيطر الأفكار على الجماهير حتى تصبح قوة مادية.

فقرة 5. ما هي خصائص البرنامج الجوهرية؟ برنامج الأممية الشيوعية برنامج علمي. ويرتكز تحليله على الطريقة الجدلية للماركسية-اللينينية. وهو يستخدم هذه الطريقة في تحليل نشوء الرأسمالية وتطورها واضمحلالها، ويضع في الصدارة من جديد الصراع الطبقي ودور البروليتاريا التاريخي كحافر قبر الرأسمالية وباني الاشتراكية.
إن طريقة برنامج الأممية الشيوعية إنما هي طريقة مناقضة جوهريا لطريقة البرامج الإصلاحية.
"في مجال النظرية، ارتدت الاشتراكية–الديمقراطية نهائيا عن الماركسية وذلك بمرورها من التحريفية إلى الإصلاحية الليبرالية البرجوازية. فقد استبدلت المذهب الماركسي حول تناقضات الرأسمالية بالتطور المنسجم للنظام. ووضعت في رفوف الأرشيف مذهب الأزمات واستمرار إفقار البروليتاريا. وحولت نظرية الصراع الطبقي العنيدة والمهددة إلى تبشير ساذج بالسلم الطبقي. وحولت مذهب اشتداد خطورة التناحر الطبقي إلى موعضة برجوازية صغيرة توصي بـ«إحلال الديمقراطية» في رأس المال. واستبدلت نظرية حتمية الحروب في النظام الرأسمالي بتضليل برجوازي قوامه نزوع إلى السلم وتبشير باطل بالإمبريالية العليا. واستبدلت نظرية سقوط الرأسمالية بالثورة بعملة زائفة قوامها أن تتحول الرأسمالية «النقية» إلى اشتراكية سلميا. واستبدلت الثورة بالنمو. واستبدلت تحطيم الدولة البرجوازية بالاقتصار على المشاركة فيها. وأحلت نظرية دعم البرجوازية محل دكتاتورية البروليتاريا. وأحلت الدفاع عن الوطن الإمبريالي محل مذهب التضامن البروليتاري الأممي. وأحلت فلسفة مثالية ممقة بمخلفات دينية محل مادية ماركس الجدلية".

فقرة 6. ثم يستند البرنامج على تحليل الإقتصاد العالمي ككل واحد. فيحلل الرأسمالية العالمية مبرزا مسار ظهور مرحلة جديدة في الرأسمالية: الإمبريالية.

"وإذ تكمل الإمبريالية مسار خلق البدايات المادية للاشتراكية (تمركز وسائل الإنتاج، اجتماعية عمل جد واسعة، تعاظم المنظمات البروليتارية...) فإن مرحلة الإمبريالية تشدد من خطورة التناقضات القائمة بين القوى العظمى وتؤدي إلى حروب تنتهي إلى انحلال وحدة الاقتصاد العالمي؛ لذلك فالإمبريالية هي الرأسمالية المتعفنة والمحتضرة. وهي آخر مراحل التطور الرأسمالي عموما. إنها عشية الثورة الاشتراكية".

لكن البرنامج، إذ يحلل الاقتصاد العالمي ككل واحد ويحدد هدفا مشتركا لجميع فروع الأممية الشيوعية ألا وهو النضال في سبيل دكتاتورية البروليتاريا العالمية، فإنه يرصد، في ذات الوقت، تنوعا كبيرا في تلك الوحدة، تنوعا في مراحل وأشكال الثورة الاشتراكية العالمية. ولقد أقر البرنامج، استنادا إلى نظرية لينين عن التطور السياسي والاقتصادي غير المتكافئ في عصر الامبريالية، ثلاثة أنواع من البلدان من ناحية تطور الثورة.

يضم النوع الأول البلدان ذات تطور رأسمالي عال (ألمانيا، أنجلترا، أمريكا الشمالية، ونحوها)، حيث المرور مباشرة إلى دكتاتورية البروليتاريا ممكن وضروري، وحيث أهم الخصائص في الإقتصاد سيقوم في تنظيم عدد كبير من الضيعات السوفييتية التابعة للدولة والمدى الضعيف نسبيا لعلاقات السوق العفوية والوتيرة السريعة في التطور الاشتراكي بوجه عام وتحويل الإستثمارات الفلاحية إلى تعاونيات، ونحو ذلك.

ويضم النوع الثاني بلدانا ذات تطور رأسمالي متوسط، حيث لا تزال فيها بقايا إقطاع قوية في الريف، حيث يقوم تداخل بين المهمات الديمقراطية البرجوازية والمهمات الاشتراكية في الثورة.

أما النوع الثالث فيضم المستعمرات الرئيسية (الصين، الهند، ونحوهما)، حيث التطور الصناعي بلغ بعض التطور لكنه مع ذلك غير كاف في معظم الأحوال لبناء الاشتراكية بناء مستقلا.

"إن الانتقال إلى دكتاتورية البروليتاريا في هذه البلدان، غير ممكن، كقاعدة عامة، إلا عبر جملة من المراحل التحضيرية؛ عبر مرحلة كاملة من تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية. ونجاح البناء الاشتراكي فيها مشروط، في أغلب الحالات، بما تقدمه لها دول دكتاتورية البروليتاريا من مساعدة مباشرة". إذ يمكن لهذه البلدان أن "تدخل شيئا فشيئا البناء الاشتراكي متجنبة، على هذا النحو، مرحلة التطور الرأسمالي كنظام مهيمن".

فقرة 7. أخذا بعين الإعتبار أن الثورة الاشتراكية العالمية تتألف من مسارات متنوعة: من ثورات بروليتارية خالصة، وثورات من النوع البرجوازي الديمقراطي تتحول ثورات بروليتارية، وحروب تحرر وطني، وثورات وطنية، وتنشب في أوقات مختلفة، فإن البرنامج لا يفصل بين المهمات الملقاة على مختلف مجموعات فروع الأممية الشيوعية. فالبرناج ينظر إلى النضال في سبيل قيادة الثورة الهندية من ذات الزاوية التي ينظر منها إلى النضال في سبيل قيادة البروليتاريا الفرنسية أو الألمانية.
إن الطابع الأممي للبرنامج إنما هو أحد الخصائص الجوهرية التي تميزه عن برنامج الأممية الثانية. فهذه الأخيرة ليس لها برنامجها الخاص ولا تصوغه، لأنها منقسمة بفعل ذات التناقضات العالمية التي تشق الرأسمالية العالمية. تمتلك الأممية الثانية "مثالا" ألا وهو إنقاذ النظام الرأسمالي من الثورة البروليتارية. لكنها لا تستطيع أن تتقدم ببرنامج عالمي من هذا القبيل جهرا. لكن ما إن تنشأ قضايا ملموسة (أي قضايا الاستراتيجيا والتكتيك) حتى تحارب أحزاب الأممية الثانية بعضها البعض، لأن كل حزب منها يعتقد أن وطنه البرجوازي يذود عن المدنية والديمقراطية ونحو ذلك.

فقرة 8. لقد صاغ البرنامج مهمات دكتاتورية البروليتاريا استنادا إلى تجربة عشر سنوات في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. فالبرنامج يقيم تعارضا بين نظام الاستغلال والاضطهاد الرأسمالي، نظام الديمقراطية البرجوازية المسموم، نظام الحيف الطبقي والقومي والجنسي والعرقي، من جهة، وبين اتحاد الجمهوريات السوفييتية

الاشتراكية، حيث وسائل الإنتاج الرئيسية بيد البروليتاريا، وحيث تقوم ديمقراطية حقة ومساواة تامة بين القوميات والجنسين، من جهة أخرى. ويقيم البرنامج تعارضا بين الفوضى الرأسمالية، والتسلح المحموم، ونهب الإمبريالية المستعمرات، من جهة، وبين بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بناء سلميا وفق خطة مسبقة، من جهة أخرى. فيبين البرنامج، على هذا النحو، للانسانية المضطهدة، كيف أن من الممكن بناء الاشتراكية في بلد واحد، وكيف أن ذلك واجب.

ويقيم البرنامج تعارضا بين النظرية الإصلاحية عن الانتقال السلمي إلى الاشتراكية، والانسجام والتعاون بين الطبقات في المرحلة الانتقالية، من جهة، وبين نظرية ماركس عن دكتاتورية البروليتاريا كمرحلة انتقالية من الرأسمالية إلى الاشتراكية، من جهة أخرى. وبالاستناد إلى تجربة ثورة أكتوبر والحرب الأهلية في روسيا وفي بلدان أخرى بين البرنامج ضرورة كسب السلطة السياسية وتحطيم الدولة البرجوازية. كما بين لا فقط أن مشركة وسائل الإنتاج سلميا أمر مستحيل، بل أيضا كيف أن، بعد كسب السلطة، لن تتوقف محاولات المستغلين ليستردوا بقوة السلاح المعامل والمصانع التي انتزعت منهم، ولتخريب بناء الاشتراكية. لذا، دون ردع مقاومة المستغلين لا يمكن خلق مقدمات البناء الاشتراكي.

بعد أن درس المؤتمر على نحو معمق بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، أدرج في البرنامج تعاليم دقيقة فيما يتعلق بمسارات وطرق بناء الاشتراكية في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا. وإذ يقر المؤتمر باحتمال اعتماد دكتاتورية البروليتاريا سياسة شيوعية الحرب على إثر إمكانية تدخل عسكري من جانب الإمبريالية أو حرب مضادة للثورة مديدة، فإنه ينص، في ذات الوقت، وعلى نحو قاطع، على أن شيوعية الحرب لا يمكنها أن تكون نظام سياسة إقتصادية "عاديا" لدكتاتورية البروليتاريا، في حين، على العكس، يجب اعتبار السياسة الإقتصادية الجديدة كذلك، لأنها تضمن تحالفا ثابتا بين البروليتاريا والأساسي من جماهير الفلاحين في مسار بناء الاشتراكية.

لقد جرى، خلال نقاش هذه القضية وتحديد التكتيك خلال فترة شيوعية الحرب، تحليل معمق للأخطاء التي وقعت في الثورة المجرية. فالرفيق فارغا (Varga)، للتدليل على حتمية شيوعية الخرب، بين كيف أن هزيمة الثورة المجرية أمر محتوم حتى لو أن الحزب الشيوعي المجري اتبع سياسة صحيحة. فأوضح الرفيق بوخارين، خلال الرد عليه، أخطاء الثورة المجرية (التردد في القضية الزراعية وفي حجز أراضي المالكين العقاريين وتوزيعها على الفلاحين). تماما كما أوضح كيف لم يكن هنالك أي أمر من شأنه أن يؤكد استحالة رد التدخل الأجنبي لو أن السياسة تجاه الفلاحين كانت صحيحة (سياسة ترمي إلى تقوية الجيش الأحمر وإلى تفكيك الجيوش الأجنبية).

فقرة 9. بعد أن صاغ المؤتمر بمعمق استراتيجية الدولة البروليتارية وتكتيكها، قدم، في ذات الوقت، تعاليم جوهرية للأحزاب التي تناضل في سبيل السلطة. فكشف البرنامج، قبل كل شيء، دور الاشتراكيين-الديمقراطيين كأعوان للإمبريالية، فيقدم، على هذا النحو، سلاحا للشيوعيين في نضالهم ضد الإصلاحية. ففي عصر الإمبريالية، تقتات الإصلاحية من الفتات الذي تخصها به البرجوازية مما تستخلصه من فائض الربح في المستعمرات أو مما تستخلصه من فائض الربح بفعل وضعها المهيمن في السوق العالمية (تقنية أكثر تطورا، تصدير رؤوس المال إلى بلدان نسبة الربح فيها أعلى، ونحو ذلك). والمثال الكلاسيكي لذلك هو إنجلترا خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين. كما يمكن أن نأخذ مثالين آخرين هما ألمانيا قبل الحرب وبعدها وأمريكا المعاصرة. فالاقتطاع من الربح المستخلص من الصناعات الاحتكارية هو ما يفسر وجود أرستقراطية عمالية في بلدان مثل ألمانيا المعاصرة.

بعد أن كشف البرنامج جذور الإصلاحية، وبعد أن كشف ما للاشتراكية-الديمقراطية من إيديولوجيا وتحريف معاد للماركسية ومعاد للثورة، صاغ المهمات التكتيكية للأحزاب في كل من البلدان الإمبريالية والمستعمرات، وأبرز ما تمثله الانحرافات اليمينية واليسارية من خطورة محددا محتواها.

إن الست مائة (600) تعديل التي قدمت إلى لجنة البرنامج من جانب عديد المندوبين إلى المؤتمر، إنما ذلك دليل على أن البرنامج هو حقا ثمرة الفكر الجماعي الشيوعي العالمي.

3. النضال ضد خطر الحرب وقضايا تكتيك الأممية الشيوعية

فقرة 10. إذ أقر المؤتمر البرنامج يكون قد حدد القضايا الإستراتيجية عند الأممية الشيوعية. وبعد أن حلل المؤتمر الوضع العالمي وقضية خطر الحرب حدد القضايا التكتيكية عند الأممية الشيوعية. لقد صاغ المؤتمر تقييما لعشر سنوات تلت الحرب ووجد فيها ثلاث فترات:

- الفترة الأولى. وهي فترة أزمة حادة في الرأسمالية نشأت بفعل الحرب العالمية. وهي فترة معارك ثورية عظيمة أدت، من جهة أولى، إلى تكون اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وإلى هزيمة البروليتاريا (ألمانيا والمجر)، من جهة ثانية. لقد بدأت هذه الفترة بثورة 1917 في روسيا وانتهت بأزمة 1923 في ألمانيا. ولقد كان لهذه الفترة نقطة قصوى (1919-1921) ونقطة تراجع. لكن خاصيتها الأساسية هي عدم استقرار كامل في الرأسمالية ووجود وضع ثوري مباشر.
- الفترة الثانية. بدأت بهزيمة البروليتاريا الألمانية (1923-1924) التي كانت علامة تراجع عام في الموجة الثورية. إنها فترة سعى فيها رأس المال العالمي إلى استعادة

علاقاته التجارية العالمية، واالقروض العالمية، وخلق استقرار في فروعه المهددة جدا (ألمانيا، بولونيا، الخ). إنها مرحلة هجوم رأس المال. وتراجع جديد عند البروليتاريا. فما خاضته، حينها، من معارك منعزلة نشب بفعل هجوم رأس المال نفسه (الإضراب الإنجليزي، الإضرابات الألمانية). لكنها أيضا فترة تقوية قوى الطليعة الشيوعية وتجاوز أزمة أقصى اليسار واستعادة صلة الأحزاب بالجماهير تدريجيا. كما شهدت هذه الفترة الثانية نهوض الاقتصاد في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وتطوير صلة طبقته العاملة بعمال العالم. وأخيرا، كانت هذه الفترة الثانية، فترة بداية اتساع مدى الثورات الوطنية. تلك هي إذن، الخصائص المميزة لهذه الفترة التي امتدت من 1924 إلى 1927.

فقرة 11. يمكننا أن نرصد في 1927-1928 عدة عوامل جديدة، يمكن لمجموعها أن يعلن عن اقتراب فترة ثالثة. فما هي هذه العناصر الجديدة؟ يجب استخلاصها مثلما كان ذلك في المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي البلشفي في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. لقد نجحت الرأسمالية في تتجاوز في الإنتاج المستوى الذي كان عليه قبل الحرب. ونجحت في أن تستعيد علاقاتها الاقتصادية العالمية، وأن تعيد بناء الاقتصاد في بعض البلدان. لكن ذلك يبرز على نحو أكبر التناقضات الرئيسية في الرأسمالية: تناقضات في إمكانيات التسويق. ففي ذلك يكمن أصل الكوارث على وجه التحديد. "فالاستقرار نفسه، ونمو الإنتاج نفسه، وتطور التجارة، وتقدم التقنية وتوسع إمكانيات الإنتاج، ومع ذلك وتبقى حدود السوق العالمية، ومناطق نفوذ المجموعات الامبريالية مستقرة تقريبا، إنما يؤدي إلى أعمق أزمة وأشدها حدة في الرأسمالية العالمية، حتى أنها تهدد بنشوب حروب جديدة وتحطيم كامل الاستقرار". ذلك هو ديالكتيك تطور الرأسمالية العالمية في هذه الفترة مثلما بينه التقرير السياسي للمؤتمر الخامس عشر. فالخاصية الأولى لهذه الفترة هي اشتداد حدة التناقض بين الإمبرياليين. ومحور هذا التناقض هو الذي يقوم بين الرأسمالية الأمريكية، التي لا تزال في طريق التطور، والرأسمالية البريطانية، التي تسير نحو التفسخ. فهذان العملاقان

إنما هو في صدامات في كل مكان في كندا وأمريكا الجنوبية والشرق الأقصى وأوروبا. وبقدر ما يحتد التناقض في أمريكا بين تطور قوى الإنتاج وإمكانيات التسويق، إلا وسقط القناع السلمي عند الإمبريالية الأمريكية. فإنجلترا الإمبريالية، استشرافا لصدامات مقبلة مع أمريكا، فإنها تبذل جهدا حتى تستعيد التحالف فتبرم مع فرنسا لذلك الغرض لا اتفاق تسلح جديد فحسب، بل أيضا اتفاقا حول قضايا عالمية هامة أخرى (السياسة في البلقان، احتلال الرينان، الخ). إن الدورة الجديدة من الحروب الإمبريالية التي تحدث عنها لينين في مقالاته الأخيرة إنما هي تقترب بوتيرة سريعة.

فقرة 12. كما تتميز هذه الفترة الجديدة، إلى جانب خطر الحروب بين الإمبرياليين، بحروب الإمبرياليين على المستعمرات. وهو ما تقوم به اليابان في الصين وأمريكا في النيكاراغوا، إلخ. وإنها لحرب بأتم معنى الكلمة ودون حتى أدنى تستر. كلما احتد تناقض الإمبريالية الرئيسي، إلا وازداد تطور الوعي الثوري عند شعوب المستعمرات وازدادت غطرسة الإمبريالية. لكن هذه الحروب التي يشنها الإمبرياليون لا يمكنها ألا تثير يقظة الجماهير في المستعمرات. لذا، فثورات المستعمرات والحركات الوطنية إنما هي خاصية أخرى تميز هذه الفترة الجديدة الثالثة شأنها شأن حروب الإمبرياليين على المستعمرات.

فقرة 13. كذلك خطر حروب الإمبرياليين على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية هي خاصية أخرى تميز هذه الفترة الجديدة. فوجود اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية إنما هو عائق أمام هجوم الإمبريالية على البروليتاريا، ويعطي نضال شعوب المستعمرات ضد الإمبريالية دفعا جديدا، ويمثل خطرا كبيرا على الرأسمالية خلال حروب الإمبرياليين أنفسهم على بعضهم البعض.
لكن، ولما كان اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية قد نهض باقتصاده وأعاد بناءه على قاعدة تقنية جديدة وشرع ينجز خطة عملاقة لبناء الاشتراكية في المدن والأرياف (وذلك خاصية تميز هذه الفترة الجديدة) وهو ما يشحذ عمال العالم أجمع

بعزيمة أكبر على النضال في سبيل الاشتراكية، لذا، سيكون من المفهوم جيدا كيف أن تحطيم اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية أصبح قضية الساعة عند الإمبرياليين. فمنذ قطع العلاقات الأنجليزية-السوفييتية أصبح التحضير للحرب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية هو محور السياسة الدولية الأساسي. فالتحضير المنتظم للاعتداءات على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية إنما يجري بتوجيه من الإمبريالية البريطانية. فالإمبريالية البريطانية تسلح بولونيا ورومانيا و"جيران" آخرين، وتسند هيئات تلك البلدان الاقتصادية بالقروض، وتسميل بلدانا "محايدة" مثل ألمانيا. وإنها لترمي بكل ذلك، وباتفاع مع قوى أخرى "كبرى" إلى تحين الوقت التكتيكي المناسب حتى تطلق كلابها على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.

لقد بين المؤتمر بقوة هذا التحضير وأكد على ضرورة المقاومة. ولقد أشار الرفيق بوخارين، عن صواب، في خطابه الختامي إلى كيف أننا لا نستطيع أن نخوض نضالا ضد الاشتراكية-الديمقراطية في قضايا الديمقراطية الإقتصادية أو التحكيم الإجباري دون أن نربط هذه القضايا بمشاركة الاشتراكية-الديمقراطية في التحضير لحروب جديدة وبالأخص في التحضير للحرب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.

فقرة 14. خطر الحرب هو النقطة الأساسية في الفترة ابجديدة. والقضية الأساسية في عمل الأممية الشيوعية هي النضال ضد خطر الحرب. لقد صاغ المؤتمر هذه المهمة في أطروحاته حول الوضع العالمي ومهمات الأممية الشيوعية (الفقرة 31) كما يلي:

"يجب أن يكون النضال ضد خطر حروب إمبريالية فيما بين البلدان الإمبريالية وضد خطر حرب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، نضالا منتظما اليوم تلو اليوم، ويستحيل قيام هذا النضال دون أن تفضح فيه بلا رحمة نزعة السلم، التي هي في الظروف الراهنة إحدى الأدوات الرئيسية في أيدي الإمبرياليين لتحضير الحروب وإخفاء ذلك التحضير، كما يستحيل قيام هذا النضال دون أن تفضح فيه عصبة الأمم

التي هي واحدة من أدوات «السلم» الإمبريالي، وأخيرا يستحيل قيام هذا النضال دون أن تفضح فيه الاشتراكية–الديمقراطية التي تساعد الإمبريالية على تغطية التحضير لحروب جديدة بعَلم السلم. إن مهمات الأحزاب الشيوعية الجوهرية في هذا المجال هي فضح نشاط عصبة الأمم باستمرار وبالوقائع، ومساندة اقتراحات اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية حول نزع السلاح باستمرار، وأن تَفضح الأحزاب الشيوعية حكوماتِها في هذا المجال (مداخلات في البرلمان، مظاهرات جماهيرية في الشوارع، الخ)، وتوضيح تسلح الدول الإمبريالية الفعلي والصناعة الكيميائية باستمرار، وميزانيات الحروب والاتفاقيات والصفقات العلنية والسرية عند الدول الإمبريالية، ودور الإمبرياليين في الصين. وكشف أكاذيب أنصار «السلم الواقعي» الاشتراكيين–الديمقراطيين حول الإمبريالية العليا ودور عصبة الأمم، وتوضيح وتفسير مستمرين لـ«نتائج» الحرب العالمية الأولى وكيف أُعد لها عسكريا ودبلوماسيا سرا. نضال ضد كل ضروب نزعة السلم، وتحريض قوامه شعارات شيوعية في مقدمتها شعار هزيمة الوطن الإمبريالي وتحويل الحرب الإمبريالية حربا أهلية، والعمل بين الجنود والبحرية، وخلق خلايا سرية، والعمل بين الفلاحين".

فقرة 15. تتداخل التناقضات الخارجية العالمية المذكورة آنفا بالتناقضات الطبقية الداخلية في البلدان الإمبريالية. إن التنافس المحموم بين الإمبرياليين يدفع برجوازية كل بلد إلى أن تشدد من الضاط على جماهير الشغيلة. والبرجوازية الإمبريالية، إذ تنتظم في كارتيلات وتروستات، وتتمتع جهرا بسند جهاز الدولة، وتعتمد دوما الطرق الفاشية، وتستخدم الاشتراكيين-الديمقراطيين والبيروقراطية النقابية، فإنما هي تزيد في ثقل نيرها الإقتصادي والسياسي. وتتخذ البرجوازية جملة من التدابير قصد التشديد من حدة استغلال وتحصين نفسها ضد التحركات الجماهيرية الآن وفي المستقبل. فمن ذلك ترشيد الصناعة الذي يستنفذ أكثر قوى البروليتاريا، والتمديد في يوم العمل والتقليص في الأجر في عدة بلدان، والتحكيم الإجباري (ألمانيا والسويد والنروج، الخ) الذي يجرد البروليتاريا من حق الإضراب، والقوانين ضد النقابات التي تقلص

من حقوق هذه الأخيرة، وقوانين عسكرة السكان، والمشاريع لبتر حقوق العمال الإنتخابية، وأخيرا، محاولات منع الأحزاب الشيوعية والمنظمات المتعاطفة معها.
حاليا، لا تستعمل البرجوازية التستر بالديمقراطية تقريبا. فدكتاتورية البرجوازية الكبيرة جلية تماما. فحتى في البلدان التي البرجوازية مجبرة فيها على وضع بعض الخدم الاشتراكيين-الديمقراطيين في الحكومة مؤقتا (ألمانيا مثال على ذلك)، فإنها تعلن جهرا أنها لا تسمح بالانحراف عن برنامجها ولو قيد أنملة.

فقرة 16. كيف كان صدى هذا القمع عند البروليتاريا؟ لقد أظهرت الإنتخابات التي جرت في البلدان الأوروبية الرئيسية (ألمانيا، فرنسا، بولونيا) أن مستوى تطور الشيوعية لم يتراجع، مثلما كان في سنوات الفترة الثانية، بل هو في صعود سريع. لقد بينت الإنتخابات كيف أن تأثير الأحزاب الشيوعية في المراكز الصناعية في عواصم الدول الأوروبية كان كبيرا طدا. فرغم كل التضييقات، نجحت النقابات الثورية، تدريجيا، في إزاحة النقابيين الإصلاحيين وكسب لجان المصانع.
تواتر الصدامات الاقتصادية، وانسجام البروليتاريا في تلك المعارك، وتعاظم المنظمات القتالية البروليتارية (فيدرالية مقاتلي الجبهة الحمراء، الخ)، والمظاهرات الجماهيرية لمناسبة الأول من ماي، والتوجه العفوي نحو الاتحاد عند البروليتاريا والذي يكسر كل الحواجز التي تقيمها الإصلاحية، كل ذلك إنما يبين كيف أننا نرصد مسارا سريعا لتجمع القوى الطبقية البروليتارية ومسار تجذرها.
لقد كان ألمع شاهد على ذلك هو قيام حركة لمعارضة باخرة حربية في ألمانيا. وما شهدته الاشتراكية-الديمقراطية من أزمة بعد تصويت ممثليها لصالح بناء تلك الباخرة العسكرية إنما يشهد على أن الجماهير شرعت تنفصل سريعا عن الإصلاحية.

فقرة 17. إن تشديد التحضير للمعارك المقبلة إنما يعني، في المقام الأول، تقوية النضال ضد الاشتراكية-الديمقراطية. إن تقوي النزعة الإمبريالية عند البرجوازية يقوى من صلة الاشتراكية-الديمقراطية بالدول الإمبريالية. فكلما عظم التنافس بين الإمبرياليين

واحتدت التناقضات الطبقية إلا وأصبحت علاقة البرجوازية بالاشتراكيين-الديمقراطيين أكثر متانة في كل بلد. فالاشتراكية-الديمقراطية تدافع جهرا عن الترشيد باسم قدرة صناعتها على المنافسة، فتبشر لهذا الغرض "بالديمقراطية الاقتصادية" و"السلم الصناعي" والتحكيم الإجباري، الخ. إن الاشتراكية-الديمقراطية هي المبشر بالتدخل الإمبريالي الجديد في المستعمرات. وهي تتخذ قناعا سلميا، لتدافع عن عصبة الأمم المتحدة الإمبريالية والعدوان على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وتعمل على أن تعتاد الجماهير على فكرة شرعية مثل تلك الحرب. فالحزب الاشتراكي-الديمقراطي إنما هو فرع إمبريالي للدعاية والتحريض والمشاركة في الحرب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. وإذ تتندمج الاشتراكية-الديمقراطية بالدولة فإنها فإنها تسقط كل ما يفصلها عن الفاشية. كان راديك وحلفائه من يمين الأممية الشيوعية، فيما مضى، يعارضون بشراسة الفكرة التي تفيد أن الفاشية هي الجناح اليميني في جبهة البرجوازية وأن الاشتراكية-الديمقراطية هي جناحها اليساري. أما الآن فما من أحد يستطيع أن يجادل في ذلك، رغم أن العناصر اليمينية غير موافقة على ذلك من حيث الأساس. فها أن ألبير توماس، مدير مكتب العمل العالمي، يمدح الفاشية جهرا. وها أن الاشتراكية-الديمقراطية في كل من بلغاريا والمجر وإيطاليا وبولونيا وغيرها تتعاون مع الفاشية جهرا. وها أن نوسكه وقدماء الاشتراكية-الديمقراطية الألمانية يتعاونون جهرا مع المنظمات البرجوازية من النوع الفاشي. وها أن الزعماء الاشتراكيون-الديمقراطيون في منظمة "العلم الجمهوري" يتعاونون مع منظمة "الخوذة الفلاذية". فلقد أصبح عنف الثيران الاشتراكية-الديمقراطية ضد العمال الثوريين يحصل يوميا لا في بولونيا فحسب، بل في ألمانيا أيضا. وإذ تتقلب الاشتراكية-الديمقراطية فاشية، فإنها تمر جهرا إلى سياسة تقسيم الحركة العمالية. والاشتراكية-الديمقراطية الألمانية هي أشرسها. فقد قسمت الحركة الرياضية (فقد أطردت فروع برلين وهال)، ومنظمة المفكرين الأحرار (600 ألف عضو) والتي أوشك الشيوعيون على كسب الهيمنة فيها، وطرد مئات المناضلين الشيوعيين من النقابات.

أمن الممكن أن يبقى تكتيك الجبهة المتحدة على حاله في جميع نواحيه في مثل هذه الظروف؟ كلا، طبعا. فتكتيك الجبهة المتحدة من القاعدة مع العمال الاشتراكيين-الديمقراطيين يضل على حاله، لكن سيكون أمرا مثيرا للسخرية اقتراح جبهة متحدة مع قيادة الاشتراكية-الديمقراطية والحال أنها تتحول فاشية وتقسم الحركة العمالية. لذا، فالتوجه الجوهري لتكتيكنا هو النضال ضد الفئة العليا من الاشتراكية-الديمقراطية.

أن نشرح خيانة من يسمون يسار الاشتراكيين-الديمقراطيين إنما هي مهمة ذات أهمية خاصة في ظروف الموجة المتعاظمة واحتداد التناقضات الطبقية. ففي ظروف تجذر البروليتاريا تستند الإصلاحية، بقدر أكبر، على من يسمون يسار الاشتراكيين-الديمقراطيين الذين لا يختلفون عن الفئة العليا الرسمية إلا بما يطلقونه من حين لآخر من جمل خاوية. وإذ حدد المؤتمر أولئك اليساريين الغوغائيين على أنهم "أخطر أعوان السياسة البرجوازية صلب البروليتاريا، وأخطر أعداء الشيوعية ودكتاتورية البروليتاريا"، فإنه يكون، بذلك، قد أدان بصرامة، في ذات الوقت، تردد المجموتات اليمينية في فروع الأممية الشيوعية عبر رسم خط دقيق جدا للنضال ضد الإصلاحية.

لقد انطلق المؤتمر من أفق اشتداد حدة النضال ضد الاشتراكية-الديمقراطية ليصادق على قرار اجتماع تنفيذية الأممية الشيوعية الموسع التاسع الذي كان قد غير اتجاه عمل الحزب الشيوعي الفرنسي بأن أوصاه بأن يتخلى عن الجبهة المتحدة مع الاشتراكيين في الانتخابات وأن يخوض نضالا انتخابيا تحت شعار: طبقة ضد طبقة! كما استند المؤتمر إلى ذات الأفق عندما صادق على قرار اجتماع تنفيذية الأممية الشيوعية الموسع التاسع الذي أوصى بأن يغير الحزب الشيوعي الإنجليزي تكتيكه نحو حزب العمل الذي انقلب من كونه منظمة عمالية عديمة الشكل إلى مجرد حزب اشتراكي-ديموقراطي.

يجب على الأحزاب الشيوعية، دون التخلي ولو للحظة عن الجبهة المتحدة مع العمال الاشتراكيين-الديمقراطيين في كل وقت وفي كل مكان، أن تشحذ نضالها ضد الفئة العليا من الاشتراكية-الديمقراطية في جميع المنظمات وبالأخص في جميع النقابات. ولقد أكد المؤتمر، استنادا إلى أفق اشتداد حدة النضال ضد الإصلاحية على وجه التحديد

في سبيل قيادة البروليتاريا، على أهمية نشاط حيوي في النقابات وأن يكون للمعارضة النقابية الثورية خطا طبقيا تعارض به دوما السياسة الإصلاحية عند البيروقراطية النقابية. فسيكون موقفا انهزاميا إذا بقينا مكتوفي الأيدي في وقت يطرد فيه الإصلاحيون مئات المناضلين الشيوعيين ويقسمون منظمات بأكملها. بل على الشيوعيين، أن يبرهنوا، أكثر من ذي قبل، كيف أنهم أكثر حيوية وروح مبادرة. أما المترددون والذي لا يتقدمون فهم الخاسرون.

لذا، لا يمكن أن يكون للأحزاب الشيوعية نضالا مظفرا ضد الإصلاحية إلا إذا هيمن على صفوفها انسجام تام، وصقّت منها نهائيا حتى أضعف وهم تعلق بالاشتراكيين-الديمقراطيين بما فيهم من يسمون يسار الاشتراكيين-الديمقراطيين.

فقرة 18. لا يمكن لفترة الإستقرار، فترة العمل "التافه"، العمل اليومي في النقابات والتعاونيات والبلديات، فترة النضال ضد أقصى اليسار، ألا ينتج عنها تفكير يميني، اتجاه يميني، أول الأمر وأساسا، صلب مناضلي النقابات والتعاونيات عند نواب البرلمان والمجالس البلدية.

لقد جرى فهم (وتطبيق) الشعار الصحيح للعمل في النقابات قصد كسبها والمشاركة في نضال الجماهير الاقتصادي اليومي، من جانب بعض فئات الحزب، على أنه تعايش سلمي مع البيروقراطية النقابية الإصلاحية. كما جرى فهم (وتطبيق) الشعار الصحيح للجبهة المتحدة مع العمال الاشتراكيين-الديمقراطيين للنضال ضد رأس المال، من جانب بعض الفئات في مختلف الأحزاب على أنها جبهة متحدة إلزامية مع الفئة العليا من الاشتراكية-الديمقراطية، وعلى أنه شعار يضع في منزلة ثانوية النضال تلك الفئة، أي يضع في منزلة ثانوية النضال في سبيل الهيمنة على قيادة الجماهير.

كما جرى فهم (وتطبيق) الشعار الصحيح لاستغلال كل الإمكانيات العلنية، من جانب بعض فئات الحزب، على أنه نضال في سبيل الشرعية مهما كان الثمن.

لقد جرى رصد هذا الانحراف الانتهازي في كل فروع الأممية الشيوعية في أشكال مختلفة. ففي فرنسا ظهر في شكل معارضة للشعار الانتخابي: طبقة ضد طبقة! وظهر

في إنجلترا في شكل تردد تطبيق خاطئ لسياسة تقوية النضال ضد حزب العمل وتدخل الحزب الشيوعي في الانتخابات على نحو مستقل. أما في ألمانيا فقد ظهر في شكل شعار "مراقبة الصناعة" وفي رفض مناضلين نقابيين شيوعيين التدخل ضد الاستراتيجية الإصلاحية في الإضرابات وضد الأفكار الإصلاحية عن التحكيم الإجباري وفي محالة إقامة تمايز بين يسار ويمين في الاشتراكيين-الديمقراطيين، ونحو ذلك.

تكتسب هذه الانحرافات الانتهازية خطورة خاصة في زمن الحروب المحدقة والمعارك الثورية الجماهيرية. فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن ما تبديه العناصر الانتهازية إنما هو تردد قومي على وجه التحديد، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن التقاليد البرلمانية لم تصفى نهائيا بعد في أغلب فروع الأممية الشيوعية، أمكننا أن نقدر ما يمثله هذا الانحراف عند فئات من الحزب من خطر زمن المعارك الفاصلة ضد البرجوازية وضد الإصلاحية إذا لم نفتح النار على هذا الانحراف الانتهازي اليميني منذ الآن.

إن أزمة الحزب التشيكوزلوفاكي إنما هي بمثابة تحذير جدي للعديد من فروع الأممية الشيوعية. فلهذه الأزمة خصائص عالمية. ونظرا لما بلغته التناقضات الطبقية في تشيكوزلوفاكيا من حدة فاقت ما هي عليه في جميع البلدان الأوروبية، ونظرا لكون الحزب الشيوعي التشيكوزلوفاكي، عبر كامل ماضيه التاريخي، الأكثر عرضة للانتهازية في الفترة الثانية التي قام فيها تجمع القوى الطبقية، فإن أزمة الحزب الشيوعي التشيكوزلوفاكي الأخطاء الانتهازية في تلك الفترة وقد بلغت تلك الأخطاء اكتمالها.

لقد قام الحزب الشيوعي التشيكوزلوفاكي، خلال عدة سنوات، بعمل هائل صلب الجماهير. واستطاع أن يجذب إليه، خلال الانتخابات، قرابة المليون عامل. لكن، عندما حان وقت الأنشطة الجماهيرية، عندما حان الوقت للانتقال من طرق التحريض "السلمية" إلى قيادة المعارك الاقتصادية الجماهيرية خلال موجة بروليتارية عظيمة (التحرك ضد قانون الضمان الاجتماعي)، وعندما أصبح من الضروري تعبئة الحزب ضد التدابير الزراعية للحكومة، وضد القمع السياسي، حينها أبدى الحزب والنقابات

الثورية سلبية انتهازية، ولم يكونوا في طليعة الجماهير. فكانت النتيجة أن خسروا ثقة الجماهير.

فقرة 19. لقد طرح المؤتمر، بكامل الوضوح اللازم، قضية خطر اليمين كخطر رئيسي. وإذ رصد المؤتمر إفلاس التروتسكية إيديولوجيا وتنظيميا وتفسخ مجموعات أقصى اليسار، فإنه يركز مرماه نحو اليمين. كما رصد المؤتمر وجود مجموعات توافقية في فروع مختلفة وبالأخص في الفرع الألماني. وتتمثل الأرضية السياسية لهذه المجموعات في التردد في انجاز تكتيك تقوية النضال ضد الاشتراكية-الديمقراطية وكسب قيادة الحركة الجماهيرية، وفي موقف توافقي تجاه العناصر الانتهازية اليمينية. لذا، ألزم المؤتمر فروع الأممية الشيوعية بأن "تقضي نهائيا على كل نزوع توافقي". فدون ذلك يستحيل أن يكون النضال ضد الانحرافات اليمينية مظفرا.

4. قضية المستعمرات

فقرة 20. لقد كان مؤتمر الأممية الثانية في بروكسل يعكف على تبرير سياسة الاستعمار عند الإمبريالية في أوساط العمال، وعلى صياغة أبرع الطرق لتنفيذ تلك السياسة، وعلى لعب دور الوساطة بأن اقترح على الشعوب المستعمرة بأن تكتفي إما بدستور أو بحكم ذاتي مقابل أن تتخلى عن نضالها الثوري. أما المؤتمر الشيوعي العالمي السادس فقد أخذ بعين الاعتبار الثورة الوطنية بكامل العناية وصاغ أقوم تكتيك ثوري لنضال عمال المستعمرات ضد الإمبريالية والعناصر الإقطاعية.

فقرة 21. لقد نشأت، منذ المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني، حيث قدم لينين أطروحاته التي تضمنت تعاليم استراتيجية أساسية في القضية الاستعمارية، تغيرات هامة وراكمنا تجربة عظيمة.

أولا. خلال تلك المدة، دخلت البروليتاريا حلبة النضال الطبقي في المستعمرات، وأصبحت في البعض منها قوة ثورية أساسية. كما انجرت فئات غفيرة من الفلاحين في النضال الثوري.

ثانيا. تألفت، لاحقا، حركات وتفجرت انتفاضات في بعض المستعمرات كالعصيان الزراعي في الهند والانتفاضات في أندونيسيا والحروب الوطنية في المغرب وسوريا والنيكارغوا وغيرها.

ثالثا. تطورت الثورة الصينية العظيمة فجرّت إلى النضال عشرات الملايين من العمال والفلاحين وأيقظت كل الشعوب المضطهدة.

رابعا. لقد أسبحت "أمريكا الجنوبية" قضية الساعة. فقد بدأت الحركة الوطنية الثورية في أشباه المستعمرات في أمريكا الجنوبية.

فقرة 22. لقد قدم المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني تحليلا عاما للقضية الاستعمارية. أما المؤتمر الشيوعي العالمي السادس فقد أكمل ذلك التحليل عبر دراسة القضية التكتيكية في مجموعات بعينها من المستعمرات. فالاختلاف في مستوى النضال الثوري يستوجب تحليلا ملموسا لبعض البلدان ولمجوعات بلدان. والتجربة الثورية تستوجب جوابا محددا لقضايا من قبيل التطور الاقتصادي في طريق غير رأسمالي، ودكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية، والموقف من البرجوازية، وغيرها.

ولقد أكد المؤتمر، عند تقييمه نتائج السنوات الأخيرة والفترة الجارية، أن تنبؤات لينين المتعلقة بالثورة الوطنية قد تأكدت تماما.

في الصين، حيث ارتقت الموجة الأولى من الثورة بالبروليتاريا والفلاحين في عدة مقاطعات، ورغم أن تكتل الإمبرياليين والاقطاعيين والبرجوازية هو المنتصر مؤقتا، فإن المعارك المنعزلة لا تزال جارية إلى حد هذه الساعة. ويمكن تحديد الوضع العام على أنه "عموما، وأخذا بعين الاعتبار اختلاف تطور مختلف أرجاء تراب الصين الشاسع، يجب تحديد الطور الحالي كطور تحضر فيه الجماهير لدفع ثوري جديد". (أطروحات في الوضع العالمي ومهمات الأممية الشيوعية، فقرة 27).

في الهند بدأت الحركة الوطنية الثورية انطلاقتها، وكل الدلائل إنما تشير إلى أنها ستتطور لاحقا إلى ثورة عمال وفلاحين حقيقية.

هنالك في الصين كما في الهند حلان للقضيتين الاستعمارية والزراعية. فالبرجوازية تضع على عاتقها مهمة تاريخية قوامها تكوين الدولة البرجوازية عبر إصلاحات واتفاق مع الإمبريالية والعناصر الإقطاعية، دون أن تتخلى نهائيا عن "استخدام العمال والفلاحين ذخيرة لمدافعها" مثلما عبر عن ذلك، عن صواب، الرفيق اسكندر ممثل الحزب الشيوعي الهندي.

أما الأممية الشيوعية فتعارض هذه الاستراتيجية الوطنية الإصلاحية الرأسمالية بطريقة ثورية قوامها نضال ضد النير الإمبريالي وبقايا الإقطاع. ودكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية التي تحطم كل احتكارات الإمبريالية وامتيازاتها وتنجز الثورة الزراعية لتخلق، على هذا النحو، شروط التطور غير الرأسمالي في البلد عبر التحالف مع بروليتاريا البلدان المتقدمة. ذلك هو الشعار الاستراتيجي الأساسي.

فقرة 23. لقد قدم المؤتمر تحليلا دقيقا لدور الإمبريالية في المستعمرات. ولقد انتقد بعض الرفاق، خلال نقاش هذه القضية، الفكرة التي تعتبر الهند وبلدانا أخرى "قرية عالمية" وأن المستعمرات عموما كانت وستظل "ملحقا زراعيا" للبلدان الصناعية الإمبريالية.

عندما يتطور منطق مثل هذا النقد فإنه سيصب في نظرية "اضمحلال الاستعمار". ولكن الإعتراف بنظرية "اضمحلال الاستعمار" وتصنيع المستعمرات إنما يعني، من

حيث الأساس، رفض الأطروحة اللينينية حول إمكانية التطور غير الرأسمالي. ففي المستعمرات يمكننا أن نرصد تطورا معينا في الصناعة. لكن ذلك لا يعني أبدا تصنيعا. فالتصنيع في بلد بعينه إنما يكون عندما يجري في البلد المعني تطوير إنتاج وسائل الإنتاج (صناعة الآلات ونحوها). لكن الإمبريالية لا تطور، أو لا تتسامح، في أن تطور في المستعمرات إلا الصناعات الصغيرة، صناعات تحويل المواد الأولية الفلاحية. فالإمبريالية تعرقل فيها انتاج وسائل الانتاج عمدا. لكن الإمبريالية لا تقتصر على ذلك، بل تعرقل تطور المستعمرات بسياستها التي تساند بقايا العلاقات الإقطاعية في الريف، وبسياسة الضرائب العديدة والتي تدمر الفلاحين وهم في غاية البؤس.
فلا يمكن كسب الاستقلال المستعمرات الاقتصادي وسيادتها إلا بثورة العمال والفلاحين تتوج بإرساء دكتاتورية ديمقراطية كأساس لازم لتصنيع البلد ولتطوره غير الرأسمالي. فتصنيع المستعمرات الحالية غير ممكن إلا عبر تطور تلك البلدان تطورا غير رأسمالي.

فقرة 24. القضية الهامة الثانية التي تناولها المؤتمر كانت قضية الموقف من البرجوازية. لقد كان من الضروري، في هذه القضية، أخذ دروس الثورة الصينية بعين الإعتبار، وعرض تكتيك الأحزاب الشيوعية عند نشوب الثورة الهندية المقبلة.
لقد تضمنت أطروحات المؤتمر حول الوضع العالمي ومهمات الأممية الشيوعية تعاليم جوهرية للشيوعيين الهنديين. ففيما تقوم خصائص كل من البرجوازية والبروليتاريا من زاوية الهيمنة على الحركة الوطنية الثورية في الهند وما الذي يميز الهند عن الصين قبل 1927؟ يمكن تلخيص تلك الخصائص كما يلي: البرجوازية الهندية كطبقة هي، دون شك، أكثر انسجاما ونضجا اقتصاديا وسياسيا من البرجوازية الصينية. في حين البروليتاريا الهندية رغم تعدادها أكبر مما هي عليه البروليتاريا الصينية فإنها لا تزال تحت تأثير الاتجاه الوطني البرجوازي.
الجزء الأكثر نفوذا من البرجوازية الهندية عقد اتفاقا مع الإمبريالية البريطانية، أما الجزء الآخر (السوارجيون) فهو، حسب تعبير أطروحات المؤتمر حول الوضع العالمي

ومهمات الأممية الشيوعية، يسعى، بالأساس، إلى اتفاق مع الإمبريالية على حساب الكادحين. فجميع اتجاهات البرجوازية الهندية خانت انتفاضة الفلاحين الزراعية. وسيكون لتلك الاتجاهات دورا رجعيا في الثورة المقبلة.

"إن مهمات البروليتاريا الضرورية والشروط اللازمة لنضال ثوري في سبيل استقلال الهند هي: توحيد جميع العناصر والمجموعات الشيوعية في حزب شيوعي قوي، وتوحيد الجماهير البروليتارية في النقابات، والنضال المنتظم حتى يفضَح فيها نهائيا الزعماء الاشتراكيون الخونة ويطردون منها". (أطروحات في الوضع العالمي ومهمات الأممية الشيوعية، فقرة 28)

تلك هي أولى مهمات الحزب الشيوعي الهندي.
أما مهمته الثانية، كطليعة للبروليتاريا، فهي النضال في سبيل هيمنة البروليتاريا على النضال الوطني ضد الإمبريالية وبقايا الإقطاع.

"فقط معسكر العمال والفلاحين والجزء الثوري من المثقفين يمكنه أن يكون مستعدا، تحت قيادة البروليتاريا، لخرق معسكر الإمبرياليين والمالكين العقاريين والبرجوازية الانتهازية، ولتفجير الثورة الزراعية وشق جبهة الإمبرياليين في الهند". (المرجع السابق)

نخلص من ذلك، ومثلما بيّن الرفيق ستالين في تقريره حول المهمات السياسية للجامعة الشيوعية لشعوب الشرق، عام 1925، إلى أن:

" لخرق ذلك المعسكر، يجب تسديد الضربة إلى البرجوازية الوطنية الانتهازية عبر كشف خيانتها وسحب الجماهير الكادحة من تأثيرها".

ذلك هو الخط التكتيكي العام للحزب الشيوعي الهندي.

5. الوضع داخل الاتحاد السوفييتي وداخل حزبه الشيوعي

فقرة 25. يلاحظ المؤتمر، برضا خاص، في بلد دكتاتورية البروليتاريا، اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، أن حزب البروليتاريا، الحزب الشيوعي البلشفي في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وبعد أن صفى في صفوفه الانحراف التروتسكي الاشتراكي-الديمقراطي، وبعد أن تجاوز عدة صعوبات موضوعية اقتصادية لفترة إعادة البناء، قد بلغ نجاحات جدية في بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، ومر مباشرة إلى عمل البناء الاشتراكي للاقتصاد الفلاحي. كما يلاحظ المؤتمر تواصل البناء الاشتراكي في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، واشتداد وتيرة البناء الاشتراكي في الريف (مزارع الدولة، تعاونيات فلاحية، انتظام الاستثمارات الفلاحية بالجملة في تعاونيات) وذلك بالتوازي مع تطبيق منتظم لشعار لينين: "نستند إلى الفلاح الفقير، ونتحالف مع الفلاح المتوسط، ونحارب الكولاك".

"يلاحظ المؤتمر الشيوعي العالمي السادس أن الحزب الشيوعي في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية قد لاحظ في الوقت المناسب العناصر البيروقراطية في بعض مراتب جهاز الدولة وجهاز الاقتصاد وجهاز النقابات وحتى جهاز الحزب وخاض نضالا عنيدا ضد تلك التوجهات. تطوير النقد الذاتي، تقوية النضال ضد البيروقراطية، تناسق قوى البروليتاريا وتطوير نشاطها وهي تسود التطور الثوري في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية – تلك هي مهمات الحزب الرئيسية. ويعبر المؤتمر الشيوعي العالمي السادس عن ثقته في أنْ يخرج الحزب منتصرا لا من الصعوبات الاقتصادية المرتبطة بحالة البلد المتأخرة، فحسب، بل سيخرج منتصرا، بعون

البروليتاريا العالمية، من كل نزاع خارجي يحضره بانتظام قادة الدول الإمبريالية".
(أطروحات في الوضع العالمي ومهمات الأممية الشيوعية، فقرة 57)

المصدر:

La Correspondance Internationale, Novembre 1928, № 138 et140, p. 1564-1568 et 1595-1596.